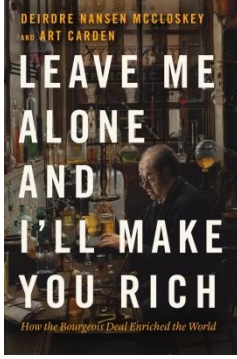




## شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

### أوراق في التاريخ الاقتصادي



### مراجعة كتاب

## ديدرا مكלוستي و آرت كاردن\*: دعني وحدي وسأجعلك ثريًا: كيف أثرت الصفقة البورجوازية العالم<sup>1</sup>

المراجع: جويل موكير \*

ترجمة: مصباح كمال \*\*

Published by EH.Net (April 2022).

Deirdre N. McCloskey and Art Carden. *Leave Me Alone and I'll Make You Rich: How the Bourgeois Deal Enriched the World*. Chicago: University of Chicago Press, 2020. 232 pp. \$25.00 (hardback), ISBN: 9780226739663.

Reviewed for EH.Net by Joel Mokyr, Northwestern University.

لمدة نصف قرن ، كانت ديدرا مكلوستي Deirdre McCloskey عضوًا في التشكيلة الأساسية للتاريخ الاقتصادي. فهي مؤلفة للعديد من الكتب ومئات الأوراق البحثية والمقالات، وأعظم ما ألفته هو كتاب "الثلاثية البرجوازية" الضخم التي ظهرت بين عامي 2006 و 2016 ووضعت فيها وجهة نظرها للتاريخ الاقتصادي وأشياء كثيرة أخرى توزعت في حوالي 2000 صفحة. يلخص الحجم الصغير هنا، الذي شارك في تأليفه آرت كاردن Art Carden، وجهات نظرها حول ما أسمته "الإثراء العظيم" ويجعله في متناول جمهور أوسع. فكيفما نظرت إليه فإن هذا الكتاب صغير الحجم نسبيًا يعكس كل ما نعرفه من كتابات ماكلوسكي المتميزة: فهو مكتوب بأسلوب محادثة غير رسمي إلى حد ما، تعرض فيه وجهات نظرها في نثر واضح للغاية. وهي ترفض بلا هوادة العلماء الآخرين الذين تختلف معهم والمفاهيم التي تجدها

<sup>1</sup> نشر هذا المقال في موقع شبكة التاريخ الاقتصادي في آذار 2022.

[https://eh.net/book\\_reviews/leave-me-alone-and-ill-make-you-rich-how-the-bourgeois-deal-enriched-the-world/](https://eh.net/book_reviews/leave-me-alone-and-ill-make-you-rich-how-the-bourgeois-deal-enriched-the-world/)



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

مضللة، وغالبًا ما تكون مدمرة. وهكذا فإن مفهوم الرأسمالية هو "خطأ علمي مضغوط في كلمة واحدة" وتقول للمؤرخين المخطئين الذين رفعوا [نظام] العبودية في العالم الجديد إلى مرتبة السبب الأول للإثراء العظيم، تقول إن "العبودية كانت سيئة بما فيه الكفاية دون الحاجة إلى تزيينها بتاريخ سيئ. واقتصاد سيئ". حقًا.

يقدم الكتاب حجة قوية لقيام مجتمع ليبرالي كلاسيكي: إن ما يفسر النجاح الاقتصادي والنمو هو الحرية. قد تكون العناصر الأخرى مثل المؤسسات والعلم والتجارة والموارد وما إلى ذلك ذات أهمية إلى حد ما، لكن العنصر الذي لا غنى عنه الذي فعل كل ذلك كان التحرر من الإكراه ومن التنظيم regulation ومن القمع. كانت هذه الحرية غائبة في معظم تاريخ البشرية، ولم تظهر إلا في بريطانيا والبلدان المنخفضة [هولندا] في القرن السابع عشر. إن البورجوازيون، وهم مجموعة تعرضت كثيرًا لشتائم "أهل الفكر اليساريون"، هم في الحقيقة أبطال ازدهارنا و "الصفقة البورجوازية"، كما يسميها المؤلفان وكما ينعكس في العنوان المختار جيدًا للكتاب، كانت المحرك الرئيسي الذي أدى إلى الازدهار الحديث. لقد كانت الصفقة بسيطة: امنحونا حريتنا وسنعمل على نمو الاقتصاد. سنتحمل المخاطر، ولكن إذا نجحنا، سنكون أغنياء وكذلك (تقريبًا) أي شخص آخر. كانت الفكرة قوية وناجحة لدرجة أنها انتشرت في جميع أنحاء العالم ورفعت مستوى معظم الاقتصادات على هذا الكوكب. وبالتالي، فإن غالبية البشر أغنى بكثير من أي وقت مضى، والحياة المادية أفضل من أي وقت مضى. هذا هو، باختصار، التاريخ الاقتصادي للعالم الحديث.

إن الظاهرة المطلوب شرحها explanandum، مألوفة لكل طالب جامعي للتاريخ الاقتصادي. لكن التفسير explanans قد لا يكون كذلك. الجملة الأولى من مقدمة الكتاب هي أن "موضوع كتابنا بسيط وحققي. لكنه مثير للجدل." ربما قد يتساءل المرء، إذا كان كل هذا بديهياً، والأدلة قاطعة جداً، فلماذا لا يزال مثيراً للجدل؟ يجب أن تكون الرسالة جذابة للغاية: من الواضح أن الحرية مفهوم جذاب، وهو أمر يرغب الناس في الموت من أجله. إذا كانت هناك فائدة إضافية فهي أنها تجعلنا أغنياء أيضاً، فما الذي لا يعجبك؟ لماذا لا يتبنى المزيد من الناس الرواية الليبرتالية<sup>2</sup> libertarian التي تسردها مكوسكي وكاردن هنا؟ علاوة على ذلك، فإن الأكاديميين هم أيضاً أعضاء في [الطبقة] البرجوازية: لماذا نقاوم فكرة أنهم أبطال الحكاية؟

<sup>2</sup> ليبرتاري: مدافع أو مؤيد لفلسفة سياسية تقوم على الحد الأدنى من تدخل الدولة في السوق الحرة والحياة الخاصة للمواطنين.



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

الكثير من الكتاب – مستل من الجزء الثاني من ثلاثية مكلوسكي – يتكون من هدم التفسيرات البديلة للإثراء العظيم. لا يُنظر إلى هذه التفسيرات على أنها خاطئة تمامًا بقدر ما هي غير كافية: صغيرة جدًا، ومتأخرة جدًا، ومبكرة جدًا. فقط الصفقة البورجوازية، التي أبرمت في القرون التي سبقت الثورة الصناعية، هي التفسير الصحيح. المنطق قوي: الناس ريادةيون entrepreneurial، مبتكرون ingenious، ميالون للاكتساب acquisitive. امنحهم فرصة، اتركهم طلقاء، وسيجدون فرصًا لإثراء أنفسهم، وفي المجموع الإيجابي للتنمية الاقتصادية، سيجعلون الجميع أكثر ثراءً أيضًا (حتى لو لم يكونوا أثرياء كما هم - لكن هذا لا يزجج المؤلفين).

من الواضح أن مكلوسكي وكاردن لا يتعاطفان مع فكرة أن الدافع وراء الإثراء العظيم كان شيئاً يسمى قدرة الدولة *state capacity*، قدرة الأمم على إنشاء حكومات ساعدت في خلق القانون والنظام، وتوفير المنافع العامة، وحل مشاكل التنسيق. لاقت هذه الفكرة التأكيد على أهميتها من قبل المؤرخين الاقتصاديين مثل الراحل لاري إبستين Larry Epstein والاقتصاديين مثل تيم بيسلي Tim Besley وتورستن بيرسون Torsten Persson. من اللافت للنظر أن المناطق التي أشار إليها هؤلاء المؤلفون على أنها مهد الصفقة البورجوازية كانت في الواقع مناطق كان فيها التنظيم الاقتصادي economic regulation شديدًا والضرائب ثقيلة. من المؤكد أنه بعد عام 1825 تم إلغاء العديد من أكثر الإجراءات القسرية صعبة في بريطانيا (قوانين الذرة ألغيت فقط في عام 1846)، ولكن القرن الأول للثورة الصناعية حدث في بيئة سياسية قمعية إلى حد ما حيث لم تكن "الحرية"، ربما، أفضل توصيف لحالة المجتمع. لقد حدثت نزوة اقتصاد عدم التدخل laissez faire البريطاني بعد الثورة الصناعية وليس قبلها. في حالات لاحقة، حدث التصنيع والنمو في اقتصادات مثل روسيا واليابان في النصف الأول من القرن العشرين، حيث لم تكن الحرية الفردية أولوية.

يقدم هذا الكتاب حجة قوية للتاريخ الفكري ideational. إن فكرة النشاط الاقتصادي غير المقيد، كما عبر عنها بقوة شديدة لوك [John Locke, 1632-1704] وأتباعه (وعلى رأسهم، بالطبع، آدم سميث)، هي "المحرك" الذي دفع اقتصادات الغرب إلى الإثراء العظيم. ومع ذلك، هناك شيء غريب في الحجة كما هو معروض هنا: في حين أن المؤلفين، مثل جميع الكتاب الليبراليين، ملتزمان بشدة بحكمة وقوة السوق، وبينما يقدم هذا الكتاب حجة قوية للأهمية التاريخية للأفكار، فإنه لا يغور في سوق الأفكار. هناك القليل هنا الذي يشرح كيف راجت فكرة الحرية والأسواق غير المقيدة بالفعل. بعد كل شيء، كما يشير الكتاب، كانت هناك مقاومة قوية من عدة زوايا، ولم يكن انتصار الليبرالية مضمونًا بأي حال من الأحوال. كما يقولان، كانت [الليبرالية]



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

مدفوعة بالثورات الناجحة (في هولندا القرن السادس عشر وإنجلترا القرن السابع عشر)، والمطبعة، والإصلاح. لو لم تحصل هذه التطورات، لما حدث الإثراء. لم تكن أوروبا بحال أفضل، لقد كانت محظوظة. لكن الأفكار لا تنتشر فقط بسبب فوائدها المستقبلية؛ بل يجب مناقشتها وبيعها في سوق الأفكار، حيث يُقنع مؤيدوها جمهورهم بناءً على الدليل أو المنطق أو أخلاقيات الفكرة. ومع ذلك، من المدهش أن سوق الأفكار لا يدخل في كتاب مخصص لمدرح الأسواق وقوة الأفكار. في الواقع، يمكن القول إن نجاح الليبرالية في حساباتها كان على وجه التحديد نتيجة لما حدث في سوق الأفكار. لقد أقتنع المثقفون من لوك وسميث، الناس المهمين بالأفكار التي أدت إلى النمو الاقتصادي.

إن التركيز على الأفكار يقود إلى السؤال الآخر الذي يطرحه الكتاب. تتوافق الفترة التي يصفانها بأنها حاسمة لظهور العناصر الرئيسية للإثراء العظيم مع عصر التنوير. ومع ذلك، فإن التنوير، الذي يمكن القول إنه أحد أقوى الحركات الثقافية في التاريخ، لا يلعب أي دور في سردهما على الرغم من التزامها بالأفكار. إن كتابة التاريخ الاقتصادي للتقدم الاقتصادي الحديث بدون عصر التنوير هو المثال المطلق لهاملت بلا أمير. لقد أنقذ المؤرخون مؤخرًا عصر التنوير من المواقف الراضية لتأريخ تحريفي مضلل، كما يتضح من الدراسة المثيرة للإعجاب التي قام بها ريتشي روبرتسون (على الرغم من أنها تتجاهل التاريخ الاقتصادي). ما هي بالضبط أفكار التنوير المهمة؟ من المؤكد أن الإيمان بالحرية والأسواق الحرة والحكومة الصغيرة كان جزءًا منها، على الرغم من أن عددًا مقلًا من الفلاسفة<sup>3</sup> *philosophes* شعروا أن النمو مهم للغاية بحيث لا يمكن تركه للقطاع الخاص ويحتاج إلى مساعدة من حكومة صديقة. وهو ما أطلق عليه الفرنسيون *dirigisme* والذي كان في الأساس محاولة لتجنيد الحكومة لمساعدة رواد الأعمال في مساعيهم. كانت بريطانيا استثنائية في نهجها المتعلق بعدم التدخل في التنمية الاقتصادية - وحتى هناك لم تكن الحكومة غائبة تمامًا.

وعمومًا، إن ما ينقص هذا الكتاب هو أي اعتراف جاد بدور ما أطلق عليه الناس في ذلك الوقت "المعرفة المفيدة" - فهم الظواهر والأنظمة الطبيعية. في العديد من الأماكن في الكتاب، استدعى المؤلفان الإبداع *ingenuity* كقوة للتقدم. ولكن كيف يمكن للإبداع أن يؤدي إلى نمو مستدام بدون معرفة؟ الإبداع والتقدم التكنولوجي لا ينزلان من السماء بمجرد إعلان الحرية. يجب إنتاج المهارات والدراسة الفنية *savoir faire* والبراعة في النظام. تم الإدراك في عصر التنوير بشكل متزايد أن

<sup>3</sup> المقصود مفكرو وفلاسفة التنوير في القرن الثامن عشر.



## أوراق في التاريخ الاقتصادي

هذه المهارات بحاجة إلى التعزيز من خلال فهم الانتظام الطبيعي للميكانيكا والطاقة والمواد، وأنه يمكن تسخير الفلسفة الطبيعية لتلبية الاحتياجات المادية، من محاربة الجذري إلى إيجاد خطوط الطول في البحر إلى ضخ المياه من مناجم الفحم. لن يمتلك مكولوسكي وكاردن أيًا منها. يقولان إن العلم لم يكن مهمًا كمحرك للنمو، لأنه تم إحرار الكثير من التقدم بدونه.

يعتمد هذا التقييم على تعريف ضيق نوعًا ما لما نعنيه بالمعرفة المفيدة. كانت الفكرة الأساسية هي **التقدم**، وأن التقدم يتحقق لأن المعرفة - سواء كانت معرفة عامة نظرية أو معرفة تقنية **propositional and prescriptive** - كانت تراكمية. لقد حدث التقدم لأنه في سوق للأفكار تعمل بشكل جيد، فإن الرؤى الأفضل عن الطبيعة سوف تتغلب على تلك المعارضة لها الأقل شأنًا. فقد حطت كيمياء لافوازييه محل الفلوجستون<sup>4</sup> والسعرات الحرارية<sup>5</sup>، وأبعد التطعيم فكرة الاستسلام [الديني] القديمة بأن الجذري كان عقابًا إلهيًا على خطايانا. لم يتم قبول أي من تلك الانتصارات، وغيرها من الانتصارات التي لا تعد ولا تحصى، دون مقاومة شرسة، ولم يكن انتصارها مضمونًا أبدًا. لكن هذا هو السبب في أنه لا يمكن سرد القصة دون وضع التنوير الصناعي في مركز الصدارة. ما احتاجته الثورة الصناعية هو المعرفة: العلم، عند الاقتضاء، يزيد ويدعم المعرفة الضمنية في كثير من الأحيان بالصناعة والمواد، ولكن أيضًا العديد من الأشياء الأخرى: الحساب العملي (كما هو موضح في مقال رائع قادم بقلم كيللي و أوغرادا (Kelly and Ó Gráda)، والاستخدام لأدوات ومعدات أفضل، والفهم - والذي غالبًا ما يكون غريزيًا - للميكانيكا والحرارة والعمليات الكيميائية.

باختصار، إن المجتمع الحر لا ينمو إذا كان جاهلاً. على عكس ما توحي به مكولوسكي وكاردن و Carden و McCloskey، لم تكن البراعة رابطًا تلقائيًا وسليبيًا بين الحرية والازدهار. إن الشعور بالحاجة إلى فهرسة منهجية وفهم للظواهر الطبيعية والانتظام هو أمر ضروري لتحقيق التقدم الذي تغلغل في تفكير الأشخاص الذين قاموا بذلك - بما في ذلك أولئك الذين ليس لديهم معرفة بالعلوم. مع توسع المعرفة العلمية، تعلق الناس بها واستمدوا منها للتوصل إلى أفكار جديدة تجعل الحياة أفضل. لا يمكن للمصلحين غير المتعلمين، بأنفسهم، تحويل الثورة الصناعية إلى نمو

4 فلوجستون: مادة كان كيميائيو القرن الثامن عشر يفترضون وجودها في جميع الأجسام القابلة للاحتراق، ويتم إطلاقها أثناء الاحتراق. (مقتبس من الإنترنت)

5 نظرية السعرات الحرارية هي نظرية علمية قديمة مفادها أن الحرارة تتكون من سائل طارد ذاتي يسمى كالوريك يتدفق من أجسام أكثر سخونة إلى أجسام أكثر برودة. كان يُعتقد أيضًا أن السعرات الحرارية هي غاز عديم الوزن يمكن أن يدخل ويخرج من المسام في المواد الصلبة والسوائل. (مقتبس من الإنترنت)





## أوراق في التاريخ الاقتصادي

مستدام. يمكن صنع الاختراعات بالصدفة serendipitously، دون أدنى فهم لسبب وكيفية عملها؛ لكن مثل هذه التطورات سرعان ما تعثرت. ما نحتاجه الآن، إذن، هو مناقشة جادة حول كيفية تفاعل عناصر التنوير، أي كيف ساعدت الحرية الشخصية والحوافز الصحيحة في خلق طفرة في المعرفة العملية والبراعة التي خلقت بالفعل وسائل الإثراء العظيم.

كانت الليبرالية، كما ظهرت في الغرب وكما هو موصوف في هذا الكتاب، جزءاً لا يتجزأ من التنوير الأوروبي – رغم أنها (مثل كل شيء آخر في كتابات فلاسفة القرن الثامن عشر) كانت محل نزاع وشكوك. ومع ذلك، كان التنوير أكثر بكثير من الليبرالية، وإذا كان كل ما أوجده هو الإيمان بالحرية الشخصية والحكومة الأقل تقييداً، فقد تكون آثاره على الإثراء العظيم أكثر تواضعاً. ما كان مهماً هو الإيمان بالتقدم – المادي والاجتماعي والسياسي. لم تكن كل الصفات المتعلقة بكمال المجتمع تعمل بشكل جيد على قدم المساواة – وربما يكون هذا هو السبب في أن عصر التنوير أصبح أشبه ما يكون بكبش الفداء لبعض الكتاب المتأثرين بـ "مدرسة فرانكفورت" المؤسفة. ولكن فيما يتعلق بمسألة النمو الاقتصادي، فإن مفكري القرن الثامن عشر فهموا الأمر بشكل صحيح. لقد شعر الفلاسفة أن التقدم المادي كان مدفوعاً قبل كل شيء بالمعرفة وتراكمها، واختبارها في سوق الأفكار، وتطبيقها من قبل المهندسين والميكانيكيين ورجال الأعمال. كانت هذه هي الأسباب الحقيقية للإثراء العظيم. كل شيء آخر - التجارة، والسياسة، ومحو الأمية، والإمبريالية، ومجموعة من العوامل الأخرى التي ذكرها ورفضها مكولوسي وكاردن - تعتمد على ذلك.

إذن، ما الذي يجب أن نفكر فيه في دور "الحرية" في النمو الاقتصادي؟ سيستمر مناقشة السؤال على مدى أجيال، وقد قامت مكولوسي بتقديم خدمة رائعة لمهنتنا من خلال تحديد شروط النقاش. قد يجادل عدد كبير من العلماء بأنه بدلاً من سياسات "عدم التدخل"، يمكن للحكومات المستنيرة والمختصة الدفع باتجاه النمو الاقتصادي ودعمه. وكما أوضحت الراحلة أليس أمسدن Alice Amsden في كتابها "صعود البقية" *The Rise of the Rest*، فإن مثل هذه الحكومات كانت موجودة. فبدون قدرة الدولة الكافية لتوجيه ودعم التنمية، قد لا تتوفر العديد من الشروط للإثراء العظيم. هل يمكن أن يكون هناك شيء مثل "الكثير من الحرية" مثلما كان من الواضح أن هناك شيئاً مثل الإكراه المفرط؟ في كتاب قادم بعنوان *The Rise of Laissez Faire* وسقوطه، يوضح ووكر هانلون Walker Hanlon كيف تراجعت بريطانيا ببطء على مدار القرن التاسع عشر عن شكل متطرف إلى حد ما من أشكال عدم التدخل وأدخلت عناصر من التنظيم والإكراه ودولة الرفاهية لتصحيح البعض من أكثر العواقب غير المرغوب فيها للثورة الصناعية. وكذلك فعلت كل دولة صناعية،



## شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

### أوراق في التاريخ الاقتصادي

بعضها أكثر وبعضها أقل. حتى الولايات المتحدة الفردية والمحبة للحرية انجرفت إلى تراجع (جزئي) من الليبرالية المتطرفة، ليس فقط لأن معظم الناس طالبوا بذلك، ولكن لأنه كان الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله.

ربما ينبغي على المؤلفين أن يأخذوا في الاعتبار الآتي: تعتمد الليبرالية على الأسواق، ويمكن للأسواق أن تفشل. لذلك يجب أن يتكوّن جزء من الحرية من حق المجتمع في اختيار قدر معين من الإكراه والتنظيم من قبل الدولة، لتجنب مثل هذه النتائج غير المقبولة مثل عمالة الأطفال، والتلوث الكيميائي السام، وملايين الأشخاص دون تأمين طبي، وتسمم أجزاء كبيرة من السكان من قبل شركات الأدوية التي تبيع المواد المسببة للإدمان. في مكان ما بين الاقتصاد الليبرالي الحر للجميع، والعوالم القسرية المروعة لسنتالين وماو، هناك أرضية وسطية معتدلة، ربما تكون بعيدة كل البعد عن المثالية، ولكنها أكثر ملاءمة من البدائل الأخرى. إنها تلك الأرضية الوسطية التي سعى إليها عصر التنوير. في عالم غير كامل، هذا هو أفضل ما يمكننا فعله.

#### References

Amsden, Alice H. *The Rise of "The Rest": Challenges to the West from Late-Industrializing Economies*. Oxford University Press, 2001.

Besley, Timothy, and Torsten Persson. *Pillars of Prosperity: The Political Economics of Development Clusters*. Princeton University Press, 2013.

Epstein, S.R. *Freedom and Growth: The Rise of States and Markets in Europe, 1300–1750*. Routledge, 2000.

Hanlon, Walker W. *The Rise and Fall of Laissez Faire*. Princeton University Press, forthcoming.

Kelly, Morgan, and Cormac Ó Gráda. "Connecting the Scientific and Industrial Revolutions: The Role of Practical Mathematics." *Journal of Economic History*, forthcoming.

Robertson, Ritchie. *The Enlightenment: The Pursuit of Happiness, 1680–1790*. New York: Harper Collins, 2021.

Copyright (c) 2022 by EH.Net. All rights reserved. This work may be copied for non-profit educational uses if proper credit is given to the author and the list. For



شبكة الاقتصاديين العراقيين

IRAQI ECONOMISTS NETWORK  
www.iraqieconomists.net

## أوراق في التاريخ الاقتصادي

other permission, please contact the EH.Net Administrator ([administrator@eh.net](mailto:administrator@eh.net)). Published by EH.Net (April 2022). All EH.Net reviews are archived at <http://www.eh.net/Book-Reviews>.

(\*) جويل موكير، أستاذ الفنون والعلوم وأستاذ الاقتصاد في جامعة Northwestern University، وأستاذ الاقتصاد (بترتيب خاص) في جامعة تل أبيب. أحدث مؤلفاته كتاب بعنوان **ثقافة النمو** (مطبعة جامعة برينستون، 2017).

(\*\*) مصباح كمال، باحث وكاتب في قضايا التأمين

تمت الترجمة بتاريخ 7 نيسان 2022

حقوق النشر محفوظة لشبكة الاقتصاديين العراقيين. يسمح بإعادة النشر بشرط الإشارة إلى المصدر . 8 نيسان 2022

<http://iraqieconomists.net/ar/>